إشكالية الخلط بين الإسلام والفكر الإسلامي في الأوساط الإسلامية المعاصرة

د/ فؤاد عبده الحاج البعداني *

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ،وبعد :

إذا كان واقعنا الإسلامي المعاصر يعاني اليوم من الكثير من الأزمات ، فإن الأزمة الأكثر سوءاً وأشد ضرراً، هي الأزمة الفكرية الناتجة عن بعض الاختلالات . فالأزمة في الحقيقة إنما هي أزمة فكرية لها مظاهر ونتائج عدة ، ولها انعكاساتها على مختلف المجالات والجوانب ، حيث لم يسلم العقل المسلم ولا الفكر الإسلامي من بعض الأفهام الخاطئة، والتصورات الجانحة التي شغلتهما عن الانطلاقة المبدعة، والتفكير للمستقبل، والبناء الحضاري.

وبناءً على هذا ينادي كثير من الباحثين والمثقفين والمفكرين إلى ضرورة الوقوف عند إصابات العقل المسلم ، وتفكيك قيوده ، وحل إشكالياته ، وترشيد مسيرة فكره ، ومعالجة آفاته وعلله ، وتوجيهه الوجهة الصحيحة . فبالوعي السليم، والبناء الصحيح، يمكن الإسهام بفعالية في بناء المجتمع المسلم، وتحقيق النهوض الحضاري. (إن التوجه الحديث الذي تعيشه الأمة وتخطو نحوه خطوات مسرعة ، هو توجه نحو إصلاح مناهج الفكر ، وآليات التفكير ، وذلك لسيادة الاعتقاد بأن الأزمة التي تعيشها الأمة هي أزمة فكرية أولاً ، نبعت منها أزمات أخرى متعددة) .[1]

ومن خلال البحث والتأمل والتتبع لإصابات العقل المسلم، وأزمات الفكر الإسلامي المعاصر ، تبين لي أن أزمة المصطلحات تأتي في مقدمة تلك الإصابات والأزمات ، التي تتطلب العرض والنقاش. فكثيراً ما يختلف حملة الفكر الإسلامي ، وتنشب الصراعات ، وتحتدم المعارك بينهم ، وتتفاقم مظاهر التعصب ، وتسود ثقافة الاستبداد الفكري والإقصاء العقدي ، وتتأزم الساحة الإسلامية ، نتيجة لسوء الفهم الناتج عن التباس المفاهيم وتداخل المصطلحات ، وعدم تحديد معانيها ومراميها بوضوح ودقة ، ووضعها في غير موضعها ، أو استخدامها استخداماً قاصراً يخل بمدلولها وحدودها . (إن كثيراً من الخلاف يكون بسبب عدم تحديد معاني المصطلحات المستخدمة في الحوار بدقة ، فإن الكثير من الخلط في الفهم يكون ناشئاً من أن المصطلح المستخدم أو اللفظة المتداولة يكون فيها اشتراك أو إجمال) .[2] وقد نبه الشيخ د. يوسف القرضاوي لهذه

* أستاذ الفكر الإسلامي المساعد كلية الآداب – جامعة إب

الظاهرة بقوله: (إن أكثر ما يضر بثقافتنا ويشيع البلبلة بيننا ، هو اختلاط المفاهيم ، واضطراب الدلالات ، فنرى بعض الألفاظ المهمة التي لها قوة المصطلحات ، مائعة ورجراجة ، دون ضبط ولا تحديد لمدلولاتها ، ليغير من يشاء كما يشاء).[٣] وغالباً ما نجد الخلاف الاصطلاحي هو السبب الرئيسي وراء كثير من الإشكالات الفكرية، والمعارك الكلامية ، والمشاحنات الجارحة . لذا لا بد من التنبه عند التعامل مع المصطلحات ، بعرض كل مصطلح منها بشكل سليم، وإيضاح المعنى الدقيق له ، واستجلاء حقيقة المفهوم المراد من كل مصطلح عند إيراده؛ وذلك حتى تتضح الصورة ، ويزول اللبس ، ولكي لا يكون التباين في فهمها واستخداماتها سببا في تغييب المقاصد الحقيقية التي سيقت من أجلها . (وكما أن سلامة القالب من العيوب شرط لازم لحسن نقل مضمونه دون إحداث نقص أو تشويه فيه ، فكذلك سلامة اللغة، والدقة في انتقاء الألفاظ، والاتفاق على مدلولاتها شرط في حسن تبليغ الأفكار، وبذلك نضمن تفادي الإشكال الاصطلاحي الذي يمثل أول عائق في طريق تبليغ الفكرة إلى الآخر).[٤] لأنه ما دامت دلالة اللفظ محل خلاف، فإن الإشكال سيظل قائماً ، وسيؤدي إلى سوء استعماله. وإذا ما تم الاتفاق على مدلوله ، فإن فرص الخلاف ستضيق ، وفرص التقارب بين المختلفين ستزداد. (فغلق باب الخلاف الاصطلاحي خطوة أساسية في سبيل الاتفاق في الرأي ، والقصور في معالجة هذا الإشكال مدخل لاشتباه الأفكار،وغبش الأفكار).[٥]

الخطاب الإسلامي المعاصر اليوم بحاجة ماسة لتحديد دقيق للمصطلحات التي يستخدمها، ليتمكن هذا الخطاب من الوصول إلى الآخرين بسهولة ويسر ، (وذلك لأن الخطاب هو السبيل المتيسر عندنا من أجل إيقاظ الأمة من غفلتها ، وتنوير الطريق أمامها، وتوضيح المزالق والصعوبات التي قد تواجهها وهي تسير على طريق النهوض والتقدم ، ومن أجل ذلك فإيجاد لغة مشتركة واضحة يفهمها المتخاطبون من البدهيات التي يجب أن لا نغفل عنها).[٦]ومن جانب آخر فإن (قضية المصطلحات لا يمكن فهمها إلا في إطار المنظومة الحضارية التي تنتهي إليها وتعبر عنها ، أو عن العلم الذي انبثقت عنه. فوجود المصطلح ضرورة للتفاهم الدقيق بين عقليات أو تيارات المنظومة الواحدة ، وضرورة كذلك للتفاهم بين العقليات أو التيارات التي تنتمي إلى منظومات متباينة ، وذلك لمد جسور متينة للتلاحم الحضاري الذي لا يمكن الاستغناء عنه في المجتمعات البشرية).[٧]

إن الباحث يدعو من خلال بحثه هذا إلى تحديد معاني الكلمات التي يتضمنها الخطاب الإسلامي ، والمصطلحات التي تستخدم في الأبحاث العلمية والأطروحات الفكرية والحوارات الثقافية بين أبناء الأمة ، وذلك بالتوصل إلى فهم واحد ولغة واحدة مشتركة بين الجميع ، بما لا يترك مجالاً لسوء الفهم أو اختلاط المصطلحات، وحتى لا نظل محاصرين داخل سور شائك من الخلاف الاصطلاحي يعيقنا عن الخروج برؤية واحدة للمصطلحات التي نستخدمها وندور حولها .

قام الباحث بإجراء عملية استقصاء للمصطلحات والمفاهيم التي يشوبها اللبس والخلط في فهمها والتعامل معها فوجدها تصل إلى عشرين مصطلحاً ومفهوماً تقريبًا، وبسبب هذا الخلط

فيها، ومع تزايد الدعوات المنادية بمراجعة الخطاب الإسلامي وتقويمه وترشيده، وتصحيح المفاهيم المغلوطة والتصورات الخاطئة ، إن من الخطوات المهمة في هذا الإطار ، الوقوف عند مظاهر الخلط واللبس بين بعض المصطلحات والمفاهيم الإسلامية إسهاماً في المراجعة والترشيد، واختار الباحث هنا الوقوف عند أبرزها وأشدها حاجةً للنقاش والبيان ، إذ تبين أن الخلط بين مصطلحي الإسلام والفكر الإسلامي يعد من أبرز الإشكالات الفكرية التي تسهم في صناعة أزمتنا الفكرية المعاصرة، ومن أكثرها حاجة للعرض والنقاش والبيان .

إشكالية الدراسة :

تتمحور مشكلة هذه الدراسة حول إشكالية الخلط بين مصطلحي الإسلام والفكر الإسلامي ، وصور هذا الخلط ومظاهره ، وطبيعة العلاقة بينهما من مختلف الجوانب ، والحد الفاصل بينهما . وفي سبيل ذلك ، فإن الدراسة ستعمد إلى إثارة بعض الأسئلة الملحة والمتداولة حول المصطلحين ، مع محاولة الإجابة عنها ، وهي كما يأتي :

السؤال الأول : هل الفكر الإسلامي هو نفسه الإسلام ، وممثل له ومعبر عنه ، ولا فرق بين المصطلحين ؟

السؤال الثاني : هل التراث الفكري الضخم والنتاج الاجتهادي المتنوع، الذي خلفه المسلمون عبر التاريخ في مختلف المجالات يعد إسلاما ؟

السؤال الثالث : هل تعد جميع الرؤى الفكرية ، والاجتهادات الفقهية ، والأفهام المكتسبة لنصوص الوحي ، والتنزيلات العملية للإسلام على الواقع، هي الإسلام ذاته ، وتحمل قدسيته وعصمته ، مادامت قد انضبطت بضوابطه وتحرت أصوله ، وتتبعت مقاصده ؟

السؤال الرابع : هل يعد الإسلام بنصوصه الصريحة والقطعية تراثا أو فكراً إسلاميا يمكن نقده وتقويمه؟

السؤال الخامس : لماذا تكثر الاختلافات والتباينات والصراعات الفكرية التي تصاحب الخطاب الإسلامي المعاصر ، لدرجة رفض البعض أفهام الآخرين وآراءهم الاجتهادية ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن أسئلة البحث المشار إليها آنفاً ، من خلال الأهداف الآتية : –

١ – لفت أنظار الباحثين والمثقفين والعلماء والمهتمين بشؤون الفكر الإسلامي والدعاة والشباب المنضوين تحت أجنحة العمل الإسلامي بمختلف الميادين إلى خطورة الخلط بين مصطلحي الإسلام والفكر الإسلامي ، وما يترتب على مثل هذا الخلط من آثار سلبية وأخطار جسيمة ، أصابت العقل المسلم .

٢ – الوقوف عند مواطن الإخلال ، وجوانب الخلط واللبس ، بين الإسلام والتراث والفكر الإسلامي في صورها ومظاهرها المتعددة فكراً وخطاباً، عند بعض الشخصيات والجهات الإسلامية في واقعنا المعاصر .

٣ – التفريق بين الإسلام المعصوم الملزم وبين الفكر الإسلامي، الذي هو نتاج الفهم والاجتهاد والكسب البشري ، والذي هو محل الصواب والخطأ ، ولا يحمل عصمة الإسلام ، وخطورة عدّ أي رأي أو فهم أو اجتهاد هو الإسلام ذاته .

٤ – إثبات أن المدارس الإسلامية المتنوعة في أفهامها واختياراتها واتجاهاتها ، إنما تعد مدارس اجتهادية لا تمثل أي واحدة منها الإسلام ، ولا ينحصر فيما تذهب إليه وحدها ، ولكل مدرسة جوانب من الصواب والسداد وجوانب من الخطأ والقصور ، ولا ينبغي إلزام الناس برؤية واحدة منها .

٥ – التوصل إلى رؤية واضحة حول مفهوم مصطلح الفكر الإسلامي ، ومضامينه ، ومجالاته ، وحدوده .

٦ – بيان مدى حاجة الخطاب الإسلامي المعاصر إلى الوضوح والدقة في استخدام المصطلحات ، بما لا يترك مجالاً لسوء الفهم أو الاختلاف أو التعصب أو الرفض ، وحتى تكون الألفاظ المستخدمة في مجمل الخطاب الإسلامي ألفاظاً متفقاً عليها ، في سبيل إيجاد لغة مشتركة للحوار والتخاطب.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها :

أولاً : تبحث في مشكلة من أبرز المشكلات الفكرية التي تعاني منها الأوساط الإسلامية المعاصرة ، بما لها من إصابات فكرية أصابت العقل المسلم ، في تعامله مع قضايا الإسلام والفكر الإسلامي .

ثانياً : تقدم مساهمةً في إطار تصحيح المفاهيم الخاطئة والتصورات المغلوطة ، وإزالة اللبس القائم اليوم عند البعض بين أعظم مصطلحين فكريين في المنهجية الإسلامية .

ثالثاً : تسعى لبيان العلاقة السوية والحد الفاصل بين الإسلام المعصوم وأصوله وثوابته ، والفكر الإسلامي وما يتصل به من أفهام ورؤى واجتهادات إنسانية ، لا تخرج عن إطار الصواب والخطأ.

رابعاً: تسهم في تبصير العقل المسلم ، وتوجيه الصحوة الإسلامية ، وتوعية المسلمين ، في سبيل الوصول إلى البناء الفكري السليم ، والنضج العلمي ، والوعي المعرفي ، والوسطية المطلوبه ، والمنهجية المقبولة شرعاً وعقلاً .

خامساً: في ظل الهجمة الغربية والحملة الصليبية الفكرية على الإسلام، فإن الدراسة تسعى للدفاع عن الصورة النقية للإسلام، والفصل بين ما هو محسوب على الإسلام نفسه ، وما هو محسوب على المسلمين من نتاج فكري وكسب بشري ، فيه المقبول وفيه المرفوض.

سادساً : تعد محاولة محدودة في إطار جهود تشخيص جوانب الأزمة الفكرية المعاصرة وصورها ، وانتشال الفكر الإسلامي المعاصر من إحدى أزماته الخطيرة .

سابعاً : تدعو إلى ضرورة مراجعة مصطلحات الخطاب الإسلامي التي تثير النزاع والاختلاف وتحث على تحديد مضامينها بدقة ، مما يؤدي إلى إزالة الخلاف حولها، وتقارب الخطاب

الإسلامي عند مختلف المدارس الفكرية والاتجاهات الدعوية .

منهج الدراسة :

تستخدم هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تتبعها لمظاهر الإشكالية ، ورصد جوانب الخلط واللبس، وسعيها لتقديم الرؤية الإسلامية السوية المؤيدة بالشواهد .

حدود الدراسة :

١ – تقتصر هذه الدراسة على الوسط الإسلامي السني بمختلف اتجاهاته ومدارسة ، دون التطرق إلى الفرق والمذاهب ذات التوجهات العقائدية المخالفة لأهل السنة ، مثل الشيعة وفرقها ، والمجموعات المحسوبة على الإسلام ، كالفرق الباطنية وغيرها .

٢ – تتمحور إشكالية هذه الدراسة على الأوساط الإسلامية المعاصرة ، دون أن تتطرق لمظاهر الإشكالية عبر مسيرة التاريخ الإسلامي ، فالواقع المعاصر هو ميدان الدراسة .

٣ – تقتصر هذه الدراسة على استعراض الرؤى والأطروحات والاجتهادات المتصلة بشؤون الإسلام والفكر الإسلامي، سواء ما صدر من قبل المحسوبين على الوسط الإسلامي ، أم من قبل المحسوبين على الوسط الليبرالي واليساري.

الدراسات السابقة:

حسب بحثي وتتبعي ، لم أقف على دراسة واسعة ومنفردة لهذه الإشكالية، سوى بعض الكتابات المتفرقة ، واللفتات السريعة والإشارات المحدودة لبعض المفكرين والعلماء والباحثين ، أمثال الشيخ الدكتور / يوسف القرضاوي ، والأستاذ الدكتور / محسن عبد الحميد، والأستاذ الدكتور / طه جابر العلواني ، والأستاذ عمر عبيد حسنه ، وغيرهم . ولعل أبرز من كتب حول هذه الإشكالية هو الأستاذ الدكتور/ محسن عبد الحميد الذي أفرد بعض صفحات كتابه " تجديد الفكر الإسلامي" لعرضها ومناقشتها والتنبيه إلى خطورتها ، وكذلك كتابه : " قضايا الفكر الإسلامي المعاصر" . كما أن بعض الباحثين اهتموا بعرض أصل الإشكالية ، ألا وهو الخلط بين المصطلحات إجمالاً وعدم تحديدها بدقة ، منهم على سبيل المثال الباحث " محمد أحمد خالد " الذي نشر بحثاً بعنوان " أهمية تحديد معاني المصطلحات في فهم الخطاب الإسلامي المعاصر : مصطلح الفكر نموذجاً " لكنه ركز فقط على عرض الآراء المتنوعة المتعلقة بتعريف مصطلح الفكر ، دون أن يتطرق إلى إشكالية الخلط بين مصطلحي الفكر والفكر الإسلامي، ثم قام بمناقشة مجمل تعريفات المعاصرين للمصطلح بالتعقيب والتحليل ، مبدياً اعتراضه على مضمون بعضها .كذلك قام الباحث " محمد محمد البشير " في رسالته الموسومة بتجديد الفكر الإسلامي والتي تقدم بها إلى كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٥م لنيل درجة الماجستير، قام بالتنبيه في مقدمة رسالته إلى إشكالية الخلط بين المصطلحات إجمالاً، ثم تحدث باقتضاب وبحدود صفحتين فقط عن إشكالية الخلط بين مصطلح الفكر الإسلامي والإسلام .

المبحث الثاني : مصطلحات الدراسة

في مستهل هذه الدراسة أرى لزاماً علي التعريف بأبرز المصطلحات التي تدور حولها ، إذ لا بد من إبراز المفهوم الدقيق لكل مصطلح منها وبيان حدوده ، حتى تتضح الصورة ، ويمكن بعد ذلك الولوج إلى موضوع الدراسة بشكل صحيح .

أولاً الإسلام:

قد لا يكون من المهم هنا بيان معنى مصطلح الإسلام ، إلا أن ضرورة المقارنة بينه وبين الفكر الإسلامي أقتضت ذلك .

وفي بيان معنى مصطلح الإسلام ، عرفه الجرجاني بقوله : (هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ) .(٨)

ومن التعريفات الجامعة ، أن الإسلام هو : (النظام الإلهى الذي ختم الله به الشرائع ، وجعله الله نظاماً كاملاً شاملاً لجميع نواحي الحياة ، وارتضاه لتنظيم علاقة البشر بخالقهم وبالكون والخلائق ، وبالدنيا والآخرة ، وبالمجتمع والزوجة والولد والحاكم والمحكوم ، ولتنظيم كل الارتباطات التي يحتاج إليها الناس ، تنظيماً مبنياً على الخضوع لله وحده وإخلاص العبودية له ، وعلى الأخذ بكل ما جاء به الرسول ﷺ) .(٩)

أما د .عبد الكريم زيدان، فقد وضع عدة تعاريف للإسلام منها قوله : (الإسلام هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب) .(١٠)

كما عرفه زيدان بأنه :(مجموع ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والإخباريات في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وقد أمره الله بتبليغها إلى الناس) .(١١)

ويمكن أن نعرف الإسلام بدقة أكثر ودلالة أشمل ، بأنه دين الله الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ، وأوجب على كافة خلقه اتباع تعاليمه في كل مكان وزمان إلى قيام الساعة وهو من حيث أصوله كتاب وسنة، ومن حيث مضمونه هو عقيدة وتشريع .

كما أن الإسلام هو مجمل ما نزل به الوحي الأمين على محمد ﷺ ، حيث يعتمد الكثير من الباحثين على مصطلح الوحي للدلالة على الإسلام بمجمل عقائده وأصوله وأحكامه وتشريعاته .

يقول الدكتور محسن عبد الحميد : (وأما المقصود بالوحي الإلهي هنا ، فهو الوحي الذي نزل على محمد بن عبد الله ﷺ ، والذي نتج عنه دين الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ، أوالذي تقرأه في النصوص الثابتة في كتاب الله تعالى والنصوص الثابتة السند في السنة النبوية الصحيحة ، لأن فيهما الحجة لا في غيرهما ، ولأنه الوحي المستقل عن الزمان والمكان ، لا بد من العودة إليهما وعرض كل خلاف أو تنازع عليهما) .(١٢)

ثانياً الفكر :

قال ابن فارس : (فكر : الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء . يقال : تفكر إذا ردد قلبه معتبراً. ورجل فكير : كثير الفكر) .(١٣)

وقال الفيروزآبادي :(الفكر ، بالكسر ويفتح : إعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكرى بكسرهما جمع: أفكار . فكر فيه وأفكر وفكر وتفكر) .[١٣]

أما ابن منظور فقد عرف الفكر ، بأنه (إعمال الخاطر في الشيء) .[١٤]

ويعرفه الراغب الأصفهاني بقوله : (الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل ، وذلك للإنسان دون الحيوان ، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب .... قال بعض الأدباء : الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها) .[١٥]

والفكر عند الجرجاني هو : (ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول) [١٦].

وجاء تعريف الفكر في دائرة معارف القرن العشرين ، بأنه:(إجهاد الخاطر في الشيء) .[١٧]

كما ورد في المعجم الفلسفي : (الفكر إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها وهو مرادف للنظر العقلي Reflection، والتأمل Meditation، ومقابل الحدس Intuition[١٨](.ثم أشار إلى خلاصة تعريف الفكر عند الفلاسفة بقوله : (وجملة القول أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات ، أو يطلق على المعقولات نفسها ، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية ، وهي النظر والتأمل ، وإذا أطلق على المعقولات دل على الموضوع الذي تفكر فيه النفس) .[١٩] وفي تعريف بعض العلماء السابقين للفكر ، يقول الإمام الغزالي : (اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة) .[٢٠]

ويعرف الإمام الرازي الفكر بقوله: (النظر هو ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخرى ، فإن من صدق بأن العالم متغير ، وكل متغير ممكن ، حتى لزمه التصديق بأن العالم ممكن فلا معنى لفكره إلا ما حصر في ذهنه من التصديقين المستلزمين للتصديق الثالث) .[٢١]

ولبعض المفكرين المعاصرين تعريفاتهم للفكر ، منهم : د. طه جابر العلواني الذي يضع خلاصة لتعريفه بقوله : (الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان ، سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر ، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة ، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء) .[٢٢]

الدكتور محمد عمارة ، يعرف الفكر بأنه : (جملة النشاط الذهني ، من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة ، شاملاً ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية تبلغ أسمى صورها في التحليل والتركيب والتنسيق) .[٢٣]

الدكتور عبد الكريم بكار ، يرى أن الفكر هو : (تردد العقل في جملة من المعطيات توصلاً إلى ما يرتبط بها من المجهول بطريقة منهجية) .[٢٤]

أما الدكتور عبد الرحمن الزنيدي ، فإنه بعد أن يورد بعض تعريفات العلماء السابقين للفكر ، يعرفه بقوله : (والفكر في المصطلح الفكري والفلسفي خاصة هو العقل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات ، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم ، ونحو ذلك . وهو كذلك المعقولات نفسها، أي : الموضوعات التي أنتجها العقل البشري) .[٢٥]

وبناءً على ما سبق ، يمكن الخلوص إلى أن الفكر نشاط عقلي يتصل بعالم التصورات الذهنية والعقلية ، في إطار الجانب النظري للفكر ، وهذا هو المدلول الأول لاستعمال مصطلح الفكر في هذه الدراسة ، وعند الإشارة للكلمات المستمدة من مدلول الفكر ، مثل :التفكير ، والنظر العقلي ، ومفكر ، وأهل الفكر ، والبحث والاستدلال العقلي والفكري. أما المدلول الثاني للفكر الذي تتطرق إليه هذه الدراسة ، فهو ذلك النتاج الفكري الذي أفرزه النشاط العقلي ، متحولاً من عالم التصورات الذهنية والعقلية إلى آراء وأحكام ومواقف تمثل التصديق العملي لذلك النشاط العقلي والمجهود الفكري .

ثالثاً: الفكر الإسلامي:

لم يكن مصطلح الفكر الإسلامي بتسميته هذه معروفاً عند علماء الإسلام السابقين ، ولم يتداولوه في أحاديثهم وكتاباتهم ، ولكنهم كانوا يعبرون عنه بشكل مجمل ، من خلال تناولهم لبعض جزئياته ، كالاجتهاد ، والرأي ، والنظر العقلي ، والقياس ، والاستنباط الفقهي. إنما ظهر هذا المصطلح في الخطاب الإسلامي المعاصر وكتابات المفكرين الإسلاميين المعاصرين ، ولا سيما الذين كتبوا حول الأطروحات الإسلامية في مختلف المجالات، والمنهجية الإسلامية في شتى الجوانب ، وقاموا بمواجهة الأطروحات المغايرة للإسلام ونقدها ، والدفاع عن الإسلام وإبراز محاسنه وبيان مقاصده.

وعليه يمكن الوقوف عند تعريف الفكر الإسلامي عند بعض المفكرين المعاصرين،والذين يكادون يتفقون على رؤية متقاربة وفهم مشترك ، واستيعاب واضح لحقيقته:

يعرفه الدكتور محسن عبد الحميد بقوله : (مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة ، وهو يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم ، في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى ،والعالم والإنسان ، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً).[٢٦] ويعرفه أيضاً بقوله :الفكر الإسلامي هو نتاج العقل المسلم في المعارف الكونية العامة ، التي تتصل بالكون وخالقه والمجتمع والإنسان ، والذي يعبر عن اجتهاد ذلك العقل في محاولته نقل الوحي الإلهي من حالة السكون والكمون إلى حالة الحركة والتغيير والبناء في إقامة الحضارة على أساس الإسلام نفسه في إطار ضوابط الأصول لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .[٢٧]

ويؤكد الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة على أن : (مصطلح الفكر الإسلامي يطلق على ذلك الفكر الجواب في أنحاء الحياة المختلفة ، والذي يحاول إيضاح هدي الإسلام في شتى شؤون الحياة ومجالاتها: السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والفقهية ، وغيرها) .[٢٨]

أما الأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار، فيعرف الفكر الإسلامي بأنه : (المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكروا به ، لا ما هو شائع اليوم من أنه المبادئ والتعاليم التي جاء بها الإسلام أو الرؤى والأفكار التي أثمرها المسلمون أو نحو ذلك مما هو من باب المحتوى من المعارف والعلوم).[٢٩] وهو بهذا يجمع بين تعريف المصطلح والتنبيه لخطورة خلطه بمبادئ الإسلام

وتعاليمه الثابتة . ويقصر الفكر على المنهج مستثنياً ما أثمره المسلمون فكرياً، وهذا تخصيص زائد قد لا يكون دقيقاً ، ذلك أن الفكر الإسلامي يشمل المنهج والنتاج الفكري للمسلمين على حد سواء .

ويعرفه الدكتور عبد الرحمن الزنيدي بأنه :(الصنعة العقلية وفق منهج الإسلام . ويقصد بالصنعة العقلية ، اجتهادات العلماء والنتائج الموضوعية التي توصلوا إليها) .[٣٠]

والمعنى نفسه يؤكد عليه أحد الباحثين بقوله: (فإن الفكر الإسلامي هو نتاج العقل المسلم الذي التزم بضوابط تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، أي الفكر الذي انتسب إلى الإسلام واتخذ من مضامين نصوصه القرآنية والحديثية دليلاً له في كل ما يصدر عنه) .[٣١]

وبناءً على ما سبق أرى أنه يمكن الخلوص إلى أن الفكر الإسلامي ، ليس هو الإسلام الموحى به من عند الله تعالى ، إنما هو نتاج اجتهاد العقول المسلمة سابقاً ولاحقاً، وهو مجمل الأفهام البشرية والكسب الإنساني ، من خلال النظر في نصوص الوحي ، واستلهام مراميها ، وتنزيل الإسلام على الواقع ، وتمكين الناس من التعبد لله في ضوء أصوله ومقاصده ، وبما يسهم في استيعاب وظيفة الاستخلاف وتحقيق النهوض الحضاري للمسلمين. وهو بهذا يخضع للصواب والخطأ، والقبول والرد ، إذ لا عصمة له .

رابعاً : العقيدة الإسلامية :

العقيدة لغة : من العقد ، وهو الربط ، والشد بقوة ،ومنه الإحكام والإبرام ، والتماسك والمراصة ، والإثبات والتوثيق.[٣٢]

قال الفيروز آبادي : (عقد الحبل والبيع والعهد يعقده ، شده ، والعقد الضمان والعهد والجمل الموثق الظهر) .[٣٣]

وكذلك : (العقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. و"في الدين " ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل) .[٣٤]

أما العقيدة الإسلامية في الاصطلاح ، فهذا المصطلح لم يرد في الكتاب والسنة ، ولم يكن معروفاً عند المسلمين في صدر الإسلام وعصره الأول ، ولم يتداوله أوائل سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين. وأول من تم الوقوف على ذكره لهذا المصطلح وهو"عقائد" هو الإمام "القشيري سنة ٤٣٧هـ في كتابه الرسالة " . كما أن هذا المصطلح (وجد نتيجة الصراع الفكري بين أصول الإسلام وبين مبادئ الحضارات والأديان التي واجهته ، فاضطر علماء الإسلام أن يوجدوا هذا المصطلح ، لجمع أصول الدِّين من مباحث الإلهيات، والنبوات، والروحانيات، والقدر، والمعاد، تحت سقف واحد ، كي لا تختلط الأفكار ، فتكون المواجهة واضحة محددة تماماً بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الملل والفلسفات) .[٣٥]

وكذلك فإن العقيدة الإسلامية، هي جملة التعاليم النظرية التصديقية التي تمثل الفكرة الكلية التي جاء بها الإسلام ، عن الكون والإنسان والحياة ، والتي لا يعد المسلم مسلماً إلا بإيمانه بها وتعبده لله من خلالها .

وإجمالاً فالعقيدة الإسلامية هي : الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ربوبيته وألوهيته

وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من الغيبيات والنبوات وأصول العقائد التي أمرنا الاعتقاد بها ، والتي يجملها قوله ﷺ في حديث جبريل : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى) .(٣٦)

خامساً : التراث:

التراث في المفهوم اللغوي : (هو ما يخلفه الرجل لورثته ، وأصله ورث أو وراث ، فأبدلت الواو تاء ، فالتراث والإرث والورث مترادفة . هكذا قال ابن الأعرابي ومن بعده ابن سيدة . وقيل: الورث والميراث في المال ، والإرث في الحسب) .(٣٧)

أن التراث في لغة العرب معناه الميراث ، وأنه يطلق على ورثة المال والحسب والعقيدة والدين ، بمعنى أنه التركة من الممتلكات التي يخلفها السابقون لمن بعدهم .

أما التراث في الاصطلاح ، يرى د . محسن عبد الحميد بأنه: (يشمل ما خلفته أمة من الأمم منذ بداية وجودها وصراعات حياتها في مجالات عدة، في سبيل التطور والتقدم في سلم المدنية. أي أن التراث هو الإنتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها ، بكل ما تحتوي عليها من تجارب وأحداث صبغتها بصبغة خاصة ، وأسبغت عليها ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي ميزتها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها وأعرافها وتقاليدها) .(٣٨)

وبشكل مختصر يرى الدكتور فاروق السامرائي ، بأن التراث هو: (ما ورثناه عن السابقين من علوم، وحضارة، وفكر، واجتهاد ، في ظلال العطاء الشامل والمتكامل للمجتمع المسلم) .(٣٩)

ويري الدكتور يوسف القرضاوي بأنّ التراث : (هو صنعة العقل البشري في مجالات العلم والفلسفة والأدب والفن بفروعها المختلفة وألوانها المتنوعة ، وفيها ما في كل عمل إنساني من قصور البشر، وأهواء البشر، وأوهام البشر ، وتأثرهم بالزمان والمكان وشتى الظروف والمؤثرات المادية والمعنوية) .(٤٠)

ويعرف الدكتور عبد الكريم بكار التراث بأنه :(مجموعة عطاءات الآباءوالأجداد على المستوى الروحي والمادي عبر تفاعلهم مع الدين ، وضمن خضوعهم لقيود الزمان والمكان اللذين تم الإنجاز فيهما) .(٤١)

ويرى مستشرق ألماني بأن كلمة تراث إسلامي تستخدم بمعنيين اثنين : أنها تعني مساهمة الإسلام في إنجازات النوع الإنساني بكل مظاهرها . وتعني اتصال الإسلام ولقاءه وتأثيراته في ما يحيط به من العالم غير المسلم .(٤٢)

المبحث الثالث: مظاهر الإشكالية وجوانب الخلط فيها

تعد إشكالية الخلط بين الإسلام والفكر الإسلامي من أبرز مظاهر الأزمة الفكرية في بعض الأوساط الإسلامية المعاصرة، التي يغيب عنها أحياناً الفهم الدقيق للعلاقة السوية بين الإسلام والفكر الإسلامي ، وهناك مظهران تبرز هذه الإشكالية من خلالهما كما يأتي :

المظهر الأول: عرض الاجتهاد الفكري والكسب البشري على أنه الإسلام.

حيث يقوم البعض بإضفاء المشروعية الإسلامية الكاملة على بعض الاجتهادات الفكرية، والآراء الفقهية، والأفهام البشرية لبعض نصوص الوحيين، على أنها الإسلام بذاته لا أنها مجرد كسب بشري تدخل ضمن نطاق الفكر الإسلامي الاجتهادي.

وليست هذه الإشكالية بمظهرها هذا وليدة اليوم، بل لها جذورها التاريخية وصورها المتعددة، والتي رحلت إلينا من عصور الضعف والانحطاط عبر مسيرة التاريخ الإسلامي، من خلال التقليد الأعمى والتعصب المذهبي والجمود الفكري، إذ تم التعامل مع اجتهادات الأئمة وآراء العلماء واختياراتهم على أنها الإسلام في إطار كل مذهب على حدة، وهذا ما لم يخطر على بال أحد من العلماء والأئمة الكبار أو دعا إليه، لكن الأتباع المتعصبين هم الذين صنعوا ذلك.

ولم يكن إشكال الخلط بين مصطلحي الإسلام والفكر الإسلامي قائماً البتة لدى المسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين الذين أدركوا حقيقة الإسلام إدراكاً مكنهم من ضبط الحد بينه وبين ما انبثق عنه بطريق الاستنباطات الشرعية التي تعلموها من الرسول ﷺ، أو تمكنوا من استخلاصها من خلال معاينة سيرته المشرفة وأنماط معالجته لمختلف القضايا في عصره. ولكن بانقضاء الآماد وتعاقب الأجيال توالت على الأمة نوازل عدة بعضها بسبب عوامل حضارية طبيعية أملتها سنة التطور المسطورة بقدر الأمة الإسلامية - كما بقدر كل أمة - أثناء انتقالها من مرحلة حضارية إلى مرحلة أخرى تليها، وبعضها الآخر بسبب انتكاس العقل المسلم وجنوحه. وبعضها الآخر بسبب انتكاس العقل المسلم وجنوحه للخمول، مما مكن الفكر الغائب الدخيل من بسط مفاهيمه ورؤاه بديلاً عن المفاهيم الإسلامية الأصيلة، فألحق بأذهان المسلمين مفاهيم هجينة شائنة غريبة عن أصول ديننا الحنيف تعلق بها بعض أبناء المسلمين عن جهل بحقائق الدين وتعاليمه، وانساقوا في حديثهم عن الإسلام طرحاً وتعليقاً ونقداً وتحقيقاً على غير هدى، وبدون تمييز بين ما هو من الإسلام وحي سماوي توقيفي، وبين ما هو من الفكر الإسلامي اجتهاد بشري تأليفي.

وفي ساحتنا الإسلامية المعاصرة تتفاقم مظاهر هذه الإشكالية ولاسيما عند بعض مشايخ وطلاب وأتباع بعض الاتجاهات الفكرية والدعوية التي تتبنى منهجاً متشدداً ومغالياً في بعض صوره، حيث ينغلق هؤلاء على اجتهادات وآراء علماء السلف وأفهامهم ومناهجهم وأساليبهم، ويتعاملون معها على أنها الإسلام المعصوم، ويدورون معها، متجاهلين ما سواها مما كسبه الأولون أو اللاحقون، بدعوى اقتفاء منهج السلف.

ولا يقف هؤلاء عند هذا الحد فحسب، بل نراهم عندما يبتدرون رأياً، أو يعرضون اجتهاداً، أو يقفون عند اختيار فقهي، أو يعلنون عن موقف فكري أو سياسي، لا يقولون هذا ما نراه صحيحاً، أو هذا ما نراه راجحاً، أو هذا هو الموقف الذي نراه متوافقاً مع مقاصد الإسلام، أو هذا ما نراه مناسباً في هذه المرحلة، أو هذا هو الفهم الذي نميل إليه ونؤيده، أو غير ذلك من المقدمات اللازمة، بل - وللأسف الشديد - نراهم يسارعون إلى الجزم بأن ما يرونه إنما هو الإسلام، مقدمين لذلك بمقدمات حاسمة، كقولهم: الموقف الإسلامي هو كذا، أو حكم

الإسلام هو كذا، أو يحرم الإسلام كذا ، أو يوجب الإسلام على المسلمين كذا ، أو غير ذلك من المقدمات التي دائماً نسمعها، فيما لا يقتضي ذلك. وهذه المسألة التي يجزمون فيها برأيهم هكذا أنها الإسلام ، قد تكون اختياراً من بعض الاجتهادات الفقهية لبعض علماء وأئمة الأمة السابقين ، وقد تكون رأياً حول بعض جزئيات الإسلام وفرعيات المسائل الاجتهادية، والتي هي محط اختلاف وتنوع في الآراء والمواقف بين علماء الأمة من السابقين واللاحقين . وقد يرجع هذا الاختلاف والتنوع إلى طبيعة التعامل مع النص ، من حيث اعتماد ظاهره أو استلهام مقصده ، فأهل الظواهر وأهل المقاصد كلهم إنما يدورون مع النص لمحاولة فهمه واستيعابه ،والوقوف عند أحكامه وتعاليمه.

وقد يكون الأمر متعلقاً بمسألة معاصرة لم يحسمها نص ، بل هي من المسائل المستجدة التي طرأت على حياة المسلمين وخضعت للنظر والاجتهاد ، وتعددت فيها الرؤى ، ولكل رؤيته حسب فهمه لقواعد الشريعة ومقاصدها العامة .وقد يتعلق الأمر بكيفية التعامل مع واقعنا المعاصر، وكيفية تنزيل مبادئ الإسلام وقيمه وتوجيهاته، كتطبيق عملي ينظم شؤون الناس في مختلف المجالات ، فنجد من يضفي على فهمه واستنتاجه، أو أفهام واستنتاجات بعض المجتهدين والعلماء ، مشروعية الأصل المتمثل بالنصوص المعصومة والتي انبثقت عنها تلك الأفهام والاجتهادات.

وما أكثر هؤلاء الذين يسهمون في تعميق الأزمة الفكرية المعاصرة عند العقل المسلم ، حتى يكادون أن يغطوا بأساليبهم القاصرة هذه على نقاء الإسلام ومتانة الفكر الإسلامي ، وكثيراً ما نجدهم هؤلاء يسقطون القداسة على الاجتهادات الفكرية والأفهام البشرية ، ويزعمون أن ما توصلوا إليه من أفهام وآراء اجتهادية وفتاوى فقهية، تمثل الصواب المحض والحق المطلق الذي لا يشوبه نقص أو قصور أو خطأ ، ويعدونها ممثلة لحقيقة الدين ، موافقة لجوهر التشريع، بل هي الدين وحكم الشرع الذي يجب أن يأخذ به الناس ، ويتعبدوا الله من خلاله . إنهم يقطعون بالرأي الواحد باسم الإسلام وكأنه حكم الإسلام المقطوع به، لا مجرد فهم توصلوا إليه، أو رأي يحتمل الصواب والخطأ ، وهم بهذا يمنحون أفهامهم النسبة المطلقة من الصواب، ويضفون عليها عصمة لا ترقى إليها، ولا تكون إلا للوحي المعصوم ، مع أن الاجتهاد العقلي والفهم البشري لا يمكن بحال أن يرقى إلى مقام الوحي المعصوم ، (وليس ذلك إلا خلط بين أصول الدين – الكتاب والسنة ونصوصهما – وبين أصول التفقه في الدين ومناهج تنزيله على الواقع – وذلك كسب مؤسس على قواعد خالدة دائر على محاور ثابتة ، ولكن يدخله الرأي غير المعصوم ، واعتبار الواقع غير الثابت ، ومن ثم يطرأ عليه احتمال الخطأ ويقع فيه الاختلاف وتجري عليه سنة الله في كل كسب بشري من دورات التقادم والبلى ثم التجدد والنهضة)[٤٣]. ويصبح (الخطر الأكبر هو الانزلاق من كلام الله إلى كلام الإنسان ، وأن يخلط أو أن يتعمد الخلط بين المصدر الإلهي للنص وبين التفسير الشخصي البشري ، فيضفي على البشري القداسة) .[٤٤] وهذا إخلال كبير ، ذلك أننا في القضايا الاجتهادية والأفهام البشرية ، إنما نتعامل مع فكر بشري يحتمل الخطأ والصواب ، ولا يملك صاحبه أي حق من حقوق القداسة

الملزمة التي هي حق لله سبحانه وتعالى وحده .

إن الذين يخلطون بين الإسلام وبين الفكر الإسلامي لا يفرقون أحياناً بين ما أنتجه علماء الإسلام وفقهاء الدين عبر التاريخ ، وبين أصول الدين وثوابت الشريعة ؛ فيلتبس عليهم الأمر ، حتى نراهم يتعصبون لأفهام السلف واجتهاداتهم أشد من تعصبهم لما حسمته النصوص . ويشير إلى هذه الإشكالية الدكتور/ طه جابر العلواني بقوله: (المشكلة التي لا تزال مستمرة ، أن بعض المسلمين اليوم يدافعون عن التراث كله على أنه دين).[٤٥] وهذا أوجد في الأمة التعصب والتمترس خلف بعض الرؤى والأقوال وكأنها أصول الإسلام وثوابته ورفض ما سواها، وبهذا (تنتقل القدسية من قيم الكتاب والسنة إلى آراء البشر ، وتصبح الفهوم البشرية المتفاوتة ، هي مصادر الدين والتدين ، وبذلك يتفرق أمر الدين ، ليصبح أديانا ، وشيعاً وأحزاباً ، كل حزب بما لديهم فرحون).[٤٦]

ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد ، بل فرضوا حضراً فكرياً على مناقشة أفهام السلف أو مخالفتها، أو إخضاعها للنقد والمراجعة ، أو الإتيان برأي جديد تضييقاً لفرص الاجتهاد بعيداً عما رآه الأولون، ومن صنع ذلك كأنما تطاول على ثوابت الدين وقيمه المعصومة ، ونسي هؤلاء أو تناسوا (أن التقويم، والمراجعة، والنقد ، والتصويب لفهوم الناس بقيم الدين أثناء تنزيله على الواقع ، هو حماية لقيم الدين المعصومة نفسها ، من أن تتحول أو تلتبس بمفاهيم بشرية يجري عليها الهوى والتعصب والخطأ والصواب . وبالإمكان القول إن هذا الالتباس بين قيم الدين المعصومة وفهم الناس للدين "التدين" ، الذي يجري عليه الخطأ والصواب ، ترك جواً من الإرهاب الفكري – أو أن شئت فقل : الإرهاب الديني المقدس – وكرس الكثير من الأخطاء ، وحال دون طلاقة الفكر في الاجتهاد ، والنقد والتصويب والتقويم والمراجعة، ضناً ووهماً أن نقد الاجتهاد أو نقد فهوم الناس ، أو نقد بعض صور التدين ، والممارسة ، هو نقد لقيم الدين نفسه ، وأصبحت الفكرة الشائعة أن نقد بعض ممارسات الأشخاص ، وفهمهم للدين ، هو نقد لما يحملون من قيم ومبادئ معصومة).[٤٧] وهذا يعني تقديس ما أنتجه العقل البشري والفكر الإنساني بما فيه من صواب وخطأ ، وإلزام الناس بما ليس بملزم ، والحجر على الرؤى والاجتهادات العقلية الجديدة المتصلة بما ناقشه السابقون .

إن هذا الخلط (قد جر كثيراً من الالتباسات التي أدت إلى نتائج في غاية الخطورة خلال التاريخ ، حيث أضيفت بعض الأفكار البشرية التي عرضت حول الإسلام إلى الإسلام نفسه ، وانتهت إلى إعاقة المسلمين والحضارة الإسلامية ، ذلك لأن من أخطر الأمور أن تتحول الأفكار البشرية في نواحي الحياة إلى دين مقدس ، يحاسب عليه الناس ، فالنتيجة الطبيعية لذلك إدخال فساد كبير على مبادئ الدين الحق، وتشويهه وتحريفه عن الغاية التي جاء من أجل تحقيقها في المجتمع الإنساني. والنتيجة الأخرى تقييد الفكر عن الحركة والاجتهاد أمام تلك القضايا بدعوى أنها مبادئ معصومة لايجوز الاجتهاد فيها).[٤٨] وهذا يؤدي إلى الانغلاق والجمود الفكري .

ومن جهة أخرى فإن هذا الخلط بين قيم الدين المعصومة وأفهام البشر الاجتهادية ، قد قاد

البعض إلى إلزام الناس بما ليس بملزم وسوقهم نحو ما يرونه إسلاما يتعبد الله به ، وصرفهم عن الآراء الأخرى والأفهام المخالفة لهم كونها منزوعة الشرعية بنظرهم ، مع أنها قد تكون هي الأنسب لهؤلاء الناس لتوافقها مع بيئاتهم وواقعهم .

وتزيد المسألة خطورة عندما تؤثر هذه الإشكالية على منهجية الاختلاف الاجتهادي وآدابه، ابتداء بالإنكار في المختلف فيه ، وانتهاء بإصدار أحكام الإقصاء العقدي والفكري بحق المخالفين.

ويبدو لي أن الأزمة الأخلاقية المصاحبة لمنهجية الاختلاف بمختلف مظاهرها ، إنما ترجع في الأساس إلى هذه الإشكالية ، التي تتمثل بالضيق بالأفهام المخالفة ، ورفض الآراء المغايرة والتحامل على أصحابها ، والطعن في شخصياتهم ، والتشكيك في منطلقاتهم ، والانتقال من نقد الرأي إلى نقد الذات ، والاستعانة بقاموس الإيذاء والطعن والتجريح ، ثم الانتقال إلى استخدام أحكام التبديع والتضليل ، بعيداً عن آداب الإسلام ، و أخلاق السلف ، ومنهجية الاختلاف الاجتهادي المعتبرة ، لدرجة أن هؤلاء يَحرضون أتباعهم والناس أجمعين على رفض ما يردده المخالفون لهم ، وعدم قبول اجتهاداتهم ، أو حتى السماع لهم وحضور دروسهم، أو قراءة مؤلفاتهم .

كما أن انتشار آفات التدين والعلل الفكرية عند مجموعات من المتدينين والمحسوبين على بعض فصائل الجماعات الإسلامية ، من غلو وتطرف وتشدد وعنف وغيرها ؛ إنما هي في بعض أسبابها من آثار وثمار إشكالية الخلط بين الإسلام المعصوم والفكر الاجتهادي ، إذ تجد بعض هؤلاء يظنون أنفسهم وحدهم هم الممثلين الشرعيين والمتحدثين الرسميين باسم الإسلام ، وهم وحدهم أصحاب الفهم السوي والمنهج الصحيح، وغيرهم إنما هم جُهال ، أو مفرطون بالإسلام ، أو مداهنون ، أو قد ركنوا إلى الدنيا ورضوا بالواقع المنحرف . ولا يقف الأمر عندهم عند هذا الحد، بل في بعض البلدان وفي كثير من الحالات ، أصدر هؤلاء فتاوى انتقاص الآخرين والتحامل عليهم وربما تضليلهم وتحذير الأمة منهم ، ولم يسلم منهم حتى كبار العلماء والمفكرين والمجتهدين ، وهؤلاء دائماً وعبر التاريخ الإسلامي عملوا على تعميق مظاهر التمزق والاختلاف داخل المجتمع المسلم .

كما أن هذا الخلط بين الإسلام المعصوم والفكر الإسلامي قد أدى (إلى كوارث ألحقت أضراراً فادحة بحركة الإنسان المسلم ومركزه في الوجود ومهمته في الحياة ، لأنه انتهى إلى صراعات عنيفة ، انمحت فيها السماحة ، واختفى فيها الاجتهاد ، وقدم كل طرف نفسه وكأنه هو الذي يمثل الدين الحق،وغيره خارج عليه ، ثم انتهت تلك الظاهرة الخاطئة إلى تقييد حركة الفكر وفرض الجمود عليه ، وعدم تحريك التاريخ والتقدم به إلى الأمام) .[٤٩]

وهنالك عدة شواهد تشير إلى خلط البعض بين الإسلام المعصوم والفكر الاجتهادي، حيث يعرضون القضايا الاجتهادية والمسائل الخلافية من وجهة نظر واحدة على أنها هي الإسلام وحكمه المعصوم .

فمن القضايا الخلافية – قديماً وحديثاً – التي تدلل على هذا الخلط : بعض المسائل المتعلقة بالمرأة ، ابتداءً بالنقاب وتغطية الوجه والكفين ، وانتهاء بالمشاركة الاجتماعية والسياسية للمرأة

؛ فكثيراً ما نجد من يعرض رؤيته أو فتواه حول إحدى هذه القضايا ولا سيما تغطية الوجه على أنها حكم الإسلام المقطوع به ، سواء التغطية أم الكشف ، دون عرض المسألة بكونها اجتهادية خلافية ، ويمكن أن تخضع لظروف الزمان والمكان والبيئة وغيرها من المؤثرات التي توجّه الموقف والفتوى . وكذلك مسألة قيادة المرأة للسيارة ، حيث صدرت في بعض دول الخليج فتاوى تحريم قطعية ، ثم بدأ التراجع عنها نظراً للضغوط السياسية وضغوط المنظمات الدولية ، وكان بالإمكان إخراج الفتوى بدون حسم ، والاعتماد على ما قد تلقاه المرأة من صعوبات ومضايقات من قيادتها للسيارة .

أما المسائل المستجدة في حياتنا المعاصرة فهي كثيرة جداً ، من أمثلتها: مسألة التصوير الفوتوغرافي وتحريم البعض له كونه تصويراً دون نظر للرأي الآخر الذي يفرق بين التصوير المجسم الذي فيه مضاهاة وتغيير لخلق الله ، بين التصوير الفوتغرافي الذي يعد مجرد عكس للصورة وحبس للظل ، ونظراً للحاجة الماسة لهذا التصوير فقد لجأ إليه بعض الذين حرموه بداية ، فلو أنهم منعوه اجتهاداً ولم يحرموه شرعاً لما كان في الأمر شيء، إنما الاعتراض هنا هو على التعامل القطعي مع مستجدات الحياة وإضفاء العصمة على الفتوى .

وتبرز بهذا الصدد المسائل السياسية المعاصرة، كالديمقراطية والانتخابات البرلمانية ، بعدها آلة تنزيلية للشورى في الإسلام على الواقع المعاصر ، ورفض البعض لها كونها بنظرهم كفراً وتقليداً للغرب ، ومسائل كثيرة غيرها .

المظهر الثاني: إدخال الإسلام ضمن مصطلح التراث والفكر الإسلامي .

وذلك بتوسيع مضمون ودائرة مصطلح الفكر الإسلامي ليشمل أصول الإسلام وثوابته المقطوع بها مما ورد في نصوص الوحي من القرآن الكريم والسنة النبوية ، بمعنى عد الإسلام بأفهامه المتعددة والاجتهادات البشرية الدائرة حوله فكراً إسلامياً أو تراثاً، دون فصل بينهما أو تفريق بين الوحي الإلهي والفكر البشري المتصل به . فكثيراً ما يتحدث بعض المتحدثين أو يكتب بعض المثقفين حول مبادئ الإسلام ذاته على أنها فكراً إسلامياً ، والبعض يستعمل مصطلح التراث بدلاً من الفكر الإسلامي ، ولا فرق هنا بين المصطلحين في الوقوع في هذه الإشكالية ، فالتراث الإسلامي والفكر الإسلامي لا يمكن بحال أن يكونا هما الإسلام .

وهذا المظهر من الخلط والالتباس قد وقع فيه صنفان من الباحثين ، أما الصنف الأول: فهم بعض المخلصين من الدعاة والمفكرين والباحثين - سهواً منهم - لأن الأمر عندهم لا يخرج عن إطار الخطأ غير المقصود ، وقد نبه الأستاذ الدكتور/ محسن عبد الحميد إلى ما وقع فيه بعض الباحثين الإسلاميين من خلط بين الإسلام والفكر الإسلامي بقوله: (حاول كثير من الكتاب الإسلاميين أن يستعملوا "الفكر الإسلامي" أو الفكرة الإسلامية بمعنى الإسلام غير أن هؤلاء مع فضلهم قد وقعوا في خطأ كبير دون أن يقصدوا ذلك ، إذ كيف يكون الوحي الإلهي مظهراً للفكر الإنساني).[٥٠] ومن هذا الصنف ما وقع فيه الشيخ الفاضل/ محمد الغزالي في قوله – رحمه الله – :(إن رسالته ﷺ تفتيح الأعين والآذان وتجلية البصائر والأذهان وذلك مودع في تراثه الضخم من كتاب وسنة).[٥١]

أما الدكتور أكرم ضياء العمري ، فإنه قد أدخل الوحي الإلهي والكتاب والسنة والعقيدة إجمالاً ضمن مصطلح التراث ،إذ قال في تعريفه: (التراث الإسلامي هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات، وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية، بل إنه يشتمل على الوحي الإلهي "القرآن والسنة" ، الذي ورثناه من أسلافنا) .(٥٢)

ثم يحاول الدكتورأكرم العمري ، إيجاد فارق بسيط بين الوحي والتراث بقوله :(وعندما نتبنى هذا التعريف الشامل للتراث ، فإن النظرة إليه والتعامل معه لن يكون واحداً ، إذ أن الوحي الإلهي لا يقبل الانتقاء والاختيارمنه أو محاولة تطويعه للواقع ، وأما المنجزات البشرية الحضارية والثقافية فإنها قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة وحسب الحاجة والمصلحة) .(٥٣)

وهو بهذا وقع في الخلط ، إذ لم يضع حداً فاصلاً وواضحا بين الوحي المعصوم والتراث الإنساني. ثم كيف نعبر عن الإسلام بمصطلح التراث الذي لا يمكن بحال أن يشتمل على نصوص الوحي الإلهي .

كما أن البعض وقعوا في الخلط بين الإسلام والثقافة الإسلامية ، فأدخلوا أصول الإسلام وعقائده وثوابته في إطار مصطلح الثقافة الإسلامية ، مثال ذلك ما صنفه الدكتور عبد الكريم عثمان في كتابه "معالم الثقافة الإسلامية " . وغيره في كتب مشابهة.

والمؤسف أن (هذه النظرة قد دخلت في حياة المسلمين ، وعبرت على غير المحققين من كُتّاب الإسلام ، وحتى على بعض علمائهم ، فهم عندما يتكلمون عن التراث لا يظهر من كلامهم أنهم يضعون حداً فارقاً بين ما هو إسلام خالص وبين ما هو تراث إسلامي ، على الرغم من أن مجمل ما يكتبون أو يتكلمون فيه ، يؤكد على هذا الفصل ، من حيث كونهم يؤمنون بالوحي) .(٥٤)

وكذلك يقع في هذا الخلط بعض المفكرين والباحثين العرب المهتمين بقضايا الفكر الإسلامي أمثال : "د. حسن حنفي و د.محمد عابد الجابري ، و د. محمد أركون" ، وفي هذا الصدد يقول د. حسن حنفي: (أصول التراث نفسه – وهو الوحي) .(٥٥)

أما الصنف الآخر فهم بعض المثقفين العلمانيين وأتباع بعض المذاهب الفكرية المعاصرة المخالفة للمنهجية الإسلامية ، فهؤلاء لا يتورعون عن الخوض في مناقشة أصول الإسلام، والاجتهاد في قطعيات النصوص ، وإبداء الآراء الشخصية حول بعض مبادئ الإسلام تحت مسمى التراث أو الفكر الإسلامي ، دون تمييز بين ما هو بالفعل تراث أو فكر، أو بين ما هو من الإسلام ذاته ، بل إنهم يتعمدون إطلاق مسمى التراث أو الفكر الإسلامي على الإسلام نفسه، بدعوى نقد الفكر والتراث الإسلامي وتقويمه، أو القيام بمهمة التجديد كمطلب عصري ، مع أن الدافع الحقيقي عند بعضهم إنما هو انتقاص الإسلام ، والطعن في مبادئه، والالتفاف على أصوله، والخروج عن ثوابته.(ويتعاظم الخطر الناجم عن إشكال الخلط بين الإسلام والفكر الإسلامي أكثر، عندما يتخذه المخالفون من الماديين والعلمانيين مدخلاً لمحاربة الإسلام ونقض عراه باسم نقد الفكر الإسلامي ومراجعته وتجديده) .(٥٦)

وهذا التجدد المزعوم في الواقع إنما هو تفريغ الإسلام من محتواه، من حيث هو مذهبية شاملة للوجود ومنهج تشريعي وأخلاقي وتربوي واجتماعي واقتصادي متكامل للحياة والناس.

ويؤكد د.يوسف القرضاوي أن الخلط بين الإسلام والتراث عند بعض المعاصرين من الكتاب العلمانيين هو خلط مقصود ، بحيث يوهم أن أحدهما يعني الآخر . وهذا ليس بصحيح فالإسلام ليس مجرد تراث يؤخذ منه ويترك ، شأنه شأن شعر امرئ القيس ، أو أبي نواس ، أو كتاب الأغاني ، أو ألف ليلة وليلة . إن اعتبار الإسلام العظيم من جملة التراث تهوين من شأنه ، وحط من قدره ، وتضليل للقارئ أو السامع عن حقيقته . والواجب أن يعبر عن الإسلام باسمه الصريح كما ارتضاه الله لنا . (٥٧)

ويبدو لي أن هذه الجرأة إنما ترجع إلى وقوع بعض المفكرين والباحثين الإسلاميين في إطلاق تسمية الوحي وما يتصل به من فكر إنساني بمصطلح الفكر الإسلامي دون وضع خط فاصل بينهما . فهذا التعميم قد شجع بعض المثقفين العلمانيين على إطلاق مسمى "التراث" على الوحي والتراث والفكر معاً، ونقد الجميع دون تفريق ، والتطاول على نصوص الوحي – كونه بنظرهم – جزءاً من التراث الإسلامي .

وبناءً على هذا الخلط والتعميم ، (فإن المذاهب الفكرية المعاصرة التي انبثقت من الحضارة الغربية الحديثة، قد عدت الإسلام عقيدة وشريعة جزءاً من التراث الذي يسمونه إما بالتراث العربي أو التراث الإسلامي أو التراث العربي الإسلامي) .(٥٨) ولاسيما أتباع المنهج الماركسي الذين ينطلقون في كتاباتهم ومناقشاتهم للإسلام والفكر الإسلامي وفق هذا الخلط المتعمد .ذلك(أن أصحاب المنهج الماركسي المادي ينظرون إلى الإسلام كما ينظرون إلى أية ثقافة بشرية تعبر عن مرحلتها ، إنهم يطبقون بصراحة وسلبية حاسمة وجمود عقائدي لا يقبل النقاش أو الحوار ، مبدأ التحليل الماركسي اللينيني على الإسلام وتأريخه، قاصدين حل مسألة التراث الذين اضطروا في السنوات الأخيرة إلي التظاهر بتبنيه تحت ضغط الإخفاقات التي أصابت الحركات الماركسية في العالم الإسلامي في ضوء متطلبات الصحوة الإسلامية المعاصرة) .(٥٩) وقد كان لبعض المستشرقين فضل السبق إلى هذا المنهج من خلال محاولاتهم في الكتابة عن الإسلام وتحليله، وتشخيص الحضارة الإسلامية ، وهؤلاء ينطلقون من عداء للإسلام ورغبة في التشكيك بمصادره ، لذا لا يهمنا أمرهم هنا كون البحث يدور في إطار الباحثين المحسوبين على الإسلام إجمالاً .

وأحياناً يلجأ بعض المثقفين والباحثين الليبراليين العلمانيين إلى الاتكاء على مصطلح التجديد في أطروحاتهم ومناقشاتهم لبعض المسائل الإسلامية ، حيث يخضعون النصوص قطعية الورود والدلالة لعملية التجديد في إطار دعواتهم لتجديد فهم التراث الإسلامي والتعامل معه في واقعنا المعاصر ، فيردون بعض النصوص والمبادئ الإسلامية، بدعوى تعارضها مع العقل أو المصلحة أو الواقع أو المستجدات والمتغيرات الحضارية ، دون تفريق بين ما يصح التجديد فيه وما لا يصح.

ويبرز هنا بقوة نموذج صارخ على دعوى الاجتهاد العبثي والتجديد المتلاعب بالثوابت وقطعيات النصوص ،هذا النموذج هو ما قام به الدكتور المهندس/ محمد شحرور في كتبه والتي يروج لها البعض بدعوى أنها تحمل آراء اجتهادية جرئيه،مع أن جل ما فيها ليس إلا تطاولاً على ثوابت الشريعة وقطعيات النصوص ، وآراء شاذة لا يمكن عدها بحال تجديداً . وأبرز كتبه في هذا الإطار هو : "الكتاب والقرآن : قراءة معاصرة" ، والذي خلط فيه خلطاً بيناً بين الإسلام بثوابته وقطعياته ،

وبين ما يصح فيه الرأي والاجتهاد والتجديد كونه فكراً إسلامياً . ورد الكثير من الأحكام الثابتة، والمسائل المحسومة، والأفهام المجمع عليها بين علماء الأمة من السابقين واللاحقين ، بدعوى الإتيان بفهم جديد ، معتمداً على منهجية مختلة ليس لها أصل مقبول أو دليل معتبر.(٦٠)

وتجد الواحد من هؤلاء(يعالج قضية الإسلام كلها تحت مصطلح "التراث" أي عند المعالجة ، لا يرسم خطاً واضحاً بين ما هو إسلام وما هو فكر وتراث ، وهؤلاء لا ينكرون الوحي الإلهي ، غير أنهم لا يأخذون منه إلا الإيمان ومجموعة من القيم السلوكية. أما الشريعة فلا يتحدثون عنها، بل قد يصرحون بأن الزمن الحاضر قد تجاوزها ، وطريقة معالجتهم للأزمة الحضارية اليوم في العالم الإسلامي توضح للدارس أنهم لا يؤمنون بتحكيمها في حياة المسلمين).(٦١) حتى وإن ادعى بعض هؤلاء أنهم فقط إنما يقومون بتصحيح الأفهام ، وتجديد الدين ، والرد على الغلاة بزعمهم . ويمكن الرجوع لكتب بعض هؤلاء،أمثال المستشار : محمد سعيد العشماوي في كتابيه "الإسلام السياسي" و" وجوهر الإسلام" ، ود. محمد أحمد خلف الله في كتابه "مفاهيم قرآنية" ، وكتابات حسين أحمد أمين ، ود. نوال السعداوي .(٦٢) وآخرين اهتموا حسب قولهم بنقد التراث ، فلم يفرقوا بين الوحي والتراث ، فدخلوا من هذا المدخل إلى نقد كل شيء في الإسلام . ويشير د. يوسف القرضاوي إلى أحدهم قائلاً : لقد رأينا باحثا مثل الدكتور محمد أركون ينصب من نفسه حكماً على التراث ، يحكم فيه كحكم نمرود "يحيي ويميت " فهو يبقي منه ما يريد ، ويحذف منه ما يريد ، تحت ستار ادعاء عريض هو : النقد أو التجديد . وهو يقول : " لا بد من وضع التراث كله موضع البحث والنقد والتقويم في ضوء الاكتشافات الحديثة " ولهذا نراه لا يكتفي بأن ينقد صحيحي البخاري ومسلم ، بل يريد أن ينقد مصحف عثمان ! أي المصحف الذي لا يعرف المسلمون غيره .(٦٣)

المبحث الرابع: الحد الفاصل بين الإسلام والفكر الإسلامي

بعد عرض مظاهر إشكالية الخلط بين الوحي الإلهي والفكر الإسلامي ، لا بد من تصحيح اللبس وإبراز الرؤية السوية وبيان طبيعة العلاقة والحد الفاصل بين الإسلام والفكر الإسلامي ، وهذا يتأتى بداية بالرجوع إلى مصطلحات الدراسة . فمن خلال استعراض كل مصطلح منها على حده تتضح الصورة ويُعرف اللبس ويكشف الخلط ، ويظهر الحد الفاصل بينهما . فإذا كان الإسلام الموحى به من عند الله تعالي يتضمن: الأصول العامة للدين وكلياته، وثوابته في مختلف المجالات العقدية والتعبدية والتشريعية والخلقية، وكذلك مجمل ما حسمته نصوص الوحيين قطعية الورود والدلالة ، وكل ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ومحط إجماع الأمة ،وكل ما يتصل بمقاصد الدين؛ فإن الفكر الإسلامي يتضمن الفروع والجزئيات ، ومسائل الاختلاف الفقهي ، ومجمل الأفهام المتصلة بنصوص الوحيين ظنية الورود والدلالة أو قطعية الورود وظنية الدلالة ، والاجتهاد في تنزيل الإسلام على الواقع وتطبيقه ، والاجتهاد في القضايا والمستجدات الطارئة التي تواجه المسلمين في حياتهم دونما سابق حكم إسلامي واضح حولها في مختلف مجالات الحياة . بمعنى أن الفكر الإسلامي إنما يشير إلى جملة الرؤى والأفكار التي

تمخض عنها عقل الإنسان المسلم ، خلال مختلف مراحل التأريخ الإسلامي منذ انقطاع الوحي إلى الآن . وبقدر ما اتسم الإسلام بالقداسة والثبات لنسبته الربانية ، واستعلائه على عوارض التغيير والتبديل ، وتساميه عن شوائب النقص والتقصير ، بقدر ما كان الفكر الإسلامي معرضاً لأن يلحقه كل ما يلحق عقل الإنسان من صفات الضعف ،وسوء التقدير في الإدراك والفهم كما في الصياغة والتعبير .

فالفكر الإسلامي إذن هو نتاج عملية ازدواج بين تعاليم الوحي القاطعة الثابتة ، وبين مدارك العقل القاصرة والنسبية ،ومن باب تلك المدارك القاصرة تتسرب الأخطاء وتكثر الهنات فيما يتعلق بالفكر الإسلامي ، وذلك أمر طبيعي مادام الله تعالى قد خلقنا على تلك الشاكلة ولا طاقة لنا بالانفكاك عنها .

كما ليس في ذلك من عيب مادام الله تعالى قد أمرنا بالاجتهاد في حدود الوسع الذي مكننا منه ،ولكن العيب في أن تغيب عنا هذه الحقيقة الجوهرية من حقائق الإسلام التي لاتحتاج إلى كبير عناء لإدراكها ، حتى نتمكن من التمييز بين ما هو إسلام وما هو فكر ينتسب إلى الإسلام . ويظل الفكر الإسلامي محل النقص والقصور والخطأ ولا يمكن أن يكون معصوماً كالإسلام .

وعليه فإن ما توصل إليه الإنسان المسلم بفهمه واجتهاده إنما هو فكر ظني لا يمكن بحال أن يرقى إلى درجة اليقين ، ولا يمكن أن يكون حقيقة مطلقة أوصواباً محضاً ، ذلك (أن الحقيقة المطلقة هي من علم الله عز وجل وحده ، وما نقطع به منها هو ما جاء به الوحي القطعي الثبوت القطعي الدلالة، وما سوى ذلك فليس مبنياً إلا على غلبة الظن ورجحان الدليل).[٦٤] إذ أن الاجتهاد الفكري ، والاستنباط الفقهي ، والبحث العلمي ، والفهم الإنساني ، مجرد كسب بشري يقوم على إعمال العقل في القضايا المطروحة للاجتهاد، والاعتماد في ذلك على النصوص الواردة ،والأدلة المحتملة ، والشواهد المعتبرة، والمعطيات المتوافرة، في سبيل تنزيل ما رجحه العقل المسلم أنه الأقرب إلى حكم الإسلام ومقصد الشريعة في القضايا المستجدة وما لم تحسمه النصوص .

كما أنه لا توجد عصمة لمخلوق تمنحه حق ادعاء تملك الصواب المطلق، فيما عدا ما هو محسوم بنصوص قطعية وصريحة ، حيث (لا يوجد في الإسلام بابوية تخول صاحبها سلطة القول الفصل في كل أمور الخلاف حتى يصبح هو وحده المتبع، وتصبح مخالفته خروجاً على الحق الذي لا مرية فيه).[٦٥]

من جهة أخرى ،فإن المسائل الخلافية لا تمنح أحداً حق احتكار الإسلام في اختياره هو ، لأنه (لما كان الاختلاف لا قطع فيه برأي ، سقطت بالتالي رتبته كحجة من حجج الشرع ، ثم هو قابل للتبدل والتغير ، كما أنه ليس حكماً لله أو لرسوله ﷺ ، ولا يدري صاحبه هل أصاب حكم الله أولا).[٦٦]

كما أنه لا يحق لأحد أن يلزم الناس بفهمه واختياره هو ، أو أن يوهمهم بأن ما يقوله إنما هو الإسلام وحكمه المقطوع به ، ولا شرعية لما سواه ، إذ (ليس لأحد أن يجبر غيره على أخذ رأيه الذي أداه اجتهاده إليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل عليه ، وليس له كذلك أن ينكر على أحد خالفه في اجتهاده ، حيث لم يعرف المصيب من المخطئ).[٦٧]

وهذا ما يذهب إليه ويؤيده أئمة السلف ، فها هو شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : (ومما يجب أن يعْلم أن الذي يريد أن ينكر على الناس، ليس له أن ينكر إلا بحجة وبيان ، إذ ليس لأحد أن يُلزم أحداً بشيء ، ولا يحظر على أحد شيئاً بلا حجة خاصة ، إلا رسول الله ﷺ المبلغ عن الله).[٦٨] فكيف بمن ينصّب نفسه اليوم وصياً على الدين ممثلاً له ، معبراً عن رأيه في كل ما يقوله، نافياً الصواب والمشروعية عن الآراء الأخرى .بل(إنه لمن التنطع في الدين، أن يظن فرد أو جماعة أن لأحدهم عصمة تجعل رأيه ومنهجه هو الحق ، وما عداه هو الباطل) .[٦٩]

وقد استوعب سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والفقهاء الكبار والعلماء والمصلحين هذه الحقيقة ، فكانوا يفرقون بين الإسلام المعصوم والاجتهاد البشري، فلم يقعوا بمثل هذا الخلط ، بل كانوا يتجنبون إنزال الناس في القضايا الاجتهادية على حكم الله ، بل على حكمهم الاجتهادي الذي يحتمل الصواب والخطأ .

وهذا ما نبه إليه الرسو ل ﷺ ، إذ روي عن الصحابي بريده بن الحصيب [٧٠] رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم لله وفي سبيل الله ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا) .[٧١]

قال ابن القيم معلقاً على هذا الحديث :(فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير المجتهد ، ونهى أن يسمى حكم المجتهدين حكم الله . ومن هذا لما كتب الكاتب بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حكماً حكم به فقال :هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر ، فقال : لا تقل هكذا ولكن قل : هذا ما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) .[٧٢] ونقل عن كبار الصاحبة والتابعين وسلف الأمة ، أنهم كانوا ينسبون الرأي لذواتهم، والحكم لأفهامهم لا إلى الله ، وكانوا لا يقولون عند أي مسألة اجتهادية : هذا هو حكم الله ، أو هذا هو حكم الإسلام ، بل كان القائل منهم يقول: هذا ما حكم به فلان أو ما رآه فلان .

يقول السيد محمد رشيد رضا : (كان كبار الصحابة والتابعين وغيرهم من مجتهدي السلف يتحامون أن يسموا ظنونهم الاجتهادية حكم الله وشرع الله ، بل كان أعظمهم قدراً وأوسعهم علماً يقول: هذا مبلغ علمي واجتهادي ، فإن كان صواباً فمن الله وله الفضل ، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان) .[٧٣]

وكان الأئمة المجتهدون إذا ما ابتدروا رأياً اجتهادياً ، سارعوا إلى إعلان نسبيته ، لئلا يفهم أحدٌ من الناس أنه الإسلام وحكم الله المُنزل ، وكانوا (كثيراً ما يصدرون اختياراتهم بنحو قولهم : هذا أحوط ، أو أحسن ، أو هذا ما ينبغي ، أو نكره هذا ، أو لا يعجبني ، فلا تضييق ولا اتهام ،ولا حجر على رأي له من النص مستنده، بل يسر وسهولة وانفتاح على الناس لتيسير أمورهم) .[٧٤]

وعندما كان كبار الصحابة يختلفون في مسألة ما وتتعدد اجتهاداتهم فيها ، لم يدع أحدٌ منهم أن ما يراه هو حكم الإسلام المقطوع به ، وما يراه غيره باطل مردود ، وقد أشار إلى ذلك شيخ

الإسلام ابن تيمية متحدثاً عن منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسائل الاجتهادية ، قائلاً : (وكان في مسائل النزاع مثل مسائل الفرائض والطلاق يرى رأياً ويرى علي بن أبي طالب رأياً ، ويرى عبد الله بن مسعود رأياً ، ويرى زيد بن ثابت رأياً ، فلم يُلزم أحداً أن يأخذ بقوله ، بل كلٌ منهم يفتي بقوله) .(٧٥)

وهذا مما يؤكد على تعدد الأفهام في المسألة الاجتهادية الواحدة ، ولا يمكن أن يكون فهم منها هو حكم الإسلام تأكيداً ، بل قد يكون محتملاً، أو قد تكون الأفهام كلها صحيحة ، أو لكل فهم منها نسبة من الصواب، وهذا ما أقره الرسول ﷺ، إذ أقر اختلاف أصحابه في فهم أمره عند غزوة بني قريضة،إذ قال فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة ، فأدرك بعضهم الصلاة في الطريق، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، ولم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فلم يُعنّف أحداً منهم) .(٧٦)

ويعلق الإمام النووي على هذا الأمر بقوله : (لم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين ،ولا ينكر محتسب ولا غيره على غيره) .(٧٧)

ومثل هذا الخلاف والتعدد في الآراء والأفهام حول المسائل الاجتهادية ، لا يمنع من كونها جميعها صحيحة ، ما دامت تدور في فلك الشريعة وتدور مع مقاصد الدين، ولا يعد رأي واحد منها هو الإسلام وحده. ويعد هذا الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد ، وهذا ما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (وهذا القسم الذي سميناه اختلاف التنوع ، كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد ، ولكن الذم واقع على من بغي على الآخر فيه) .(٧٨)

وإذا كان أحد الآراء ضعيفاً ، أو مرجوحاً أو حتى خاطئاً ، فلا ضير من ذلك ما دام اجتهاداً وفكراً إنسانياً ، والإثم عن صاحبه مرفوع ، فالعصمة لا تكون إلا للحكم الشرعي المنصوص عليه ، والاجتهاد البشري محل الخطأ والله سبحانه وتعالى قد رفع الإثم والحرج عمن وقع في الخطأ دون قصد إليه إجمالاً ، بما فيه ذلك الخطأ في الفهم والاجتهاد ، قال تعالى :(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) .(٧٩)

بل صاحب الاجتهاد الخاطئ مأجورٌ على اجتهاده ، وهذا ما يؤكده الرسول ﷺ بقوله : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) .(٨٠)

إن ما يصل إليه الإنسان بفهمه واجتهاده من رأي أو حكم ، لا يمكن في جميع أحواله أن يكون صائباً ، لكونه مجرد جهد بشري في فهم الدين ، وفكر يدور مع الدين ويتمحور حوله ، ويهدف إلى استلهام هديه في القضايا المطروحة للاجتهاد والنظر ، بمعنى أنه ليس ديناً وليس مقدساً .قال ابن عبد البر : (وفي رجوع أصحاب الرسول ﷺ بعضهم إلى بعض ، ورد بعضهم على بعض ، دليل واضح على أن يقول كل واحد منهم : جائز ما قلت أنت ، وجائز ما قلت أنا) .(٨١) لإدراكهم أن اختلافهم يدور في إطار الفكر والاجتهاد ولا يدخل في إطار الحكم الشرعي والمقطوع به والملزم للجميع ، وعليه فلا إنكار على المخالف ولاإجبار له على رأي ما ،ولا

يعد المخالف في اجتهاده واختياره وفهمه مخالفا لحكم الإسلام أو مبتدعاً في رأيه ما دام الأمر اجتهاداً ، وهذا ما يؤكده ابن تيمية – – بقوله :(وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين فلم يكن لأحد أن يلزمه بقوله المخالف ويقول هذا خالف الشرع).[٨٢]

ولا يحق لأحد أن يرفض الأفهام المخالفة ويلزم الناس بما ذهب إليه، (فقد قرر الأئمة، أنه ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ، أو أن يعترض على مذهب غيره).[٨٣] ، فهذا يوهم الآخرين أن مذهبه هو الإسلام وحده ولا سبيل إلى غيره ، ويوقع الناس في حرج وضيق وسوء فهم ، وقد تتداخل عليهم أحكام الإسلام القاطعة بمسائل الاختلاف المتنوعة . وهذا ما تنبه له الإمام مالك بن أنس فرفض حمل الناس على ما في موطئه في القضايا الاجتهادية ، حتى لا يظن الناس أن مذهبه هو الإسلام وما سواه لا يعد إسلاماً .

فقد روي أنه (لما حج المنصور قال لمالك : قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث في كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم بأن يعلموا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره ، فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات،وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ودانوا به من اختلاف الناس ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم . وتحكى نسبة هذه القصة إلى هارون الرشيد وأنه شاور مالكاً في أن يعلق الموطأ في الكعبة ، ويحمل الناس على ما فيه ، فقال : لا تفعل ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل سنة مضت ، قال : وفقك الله يا أبا عبد الله).[٨٤]

ومن جهة أخرى : فإن الوقوف عند الحد الفاصل بين الإسلام والفكر الإسلامي، يقتضي إخراج نصوص الوحي قطعية الورود والدلالة، ومجمل أصول الدين وثوابت الشريعة، والأحكام الصريحة، عن مضمون مصطلح الفكر الإسلامي أو التراث ، فهذا الخلط أشد خطراً وأسوأ أثراً من سابقه،كونه في بعض حالاته لايحمل البراءة،وإنما قد يستهدف الإسلام بقيمه وثوابته ومبادئه العامة .

وبداية ينبغي على المثقفين والباحثين ذوي النوايا الحسنة والمقاصد الطيبة، الانتباه لهذا الخلط المشين، والدقة في تحديد المصطلحات والتعامل معها ، ووضع كل مصطلح في مكانه الصحيح ، فحسن النية وسلامة المقصد لا يشفعان لمثل هذا الخلط ، وحريٌ بهم سد الطريق أمام المتطاولين على الشريعة والعابثين بأحكامها، باسم البحث العلمي والاجتهاد والتجديد الفكري وحرية الرأي . فليس الإسلام فكراً بشرياً أو تراثاً إنسانياً يمكن إخضاعه للنقد والتقويم والأخذ والرد، بل هو وحيٌ معصوم ، وتشريع إلهي مقدس ، ولا يمكن للعقل البشري القاصر أن يرقى إلى مستواه ، أو أن يكون قادراً على نقده أو الاعتراض عليه، فللاجتهاد مجاله، وللتجديد ميدانه، وللإسلام منزلته، وللعقل قدراته، وللفكر الإسلامي مضامينه، وللتراث حدوده ، وللبحث العلمي ضوابطه، وللرأي قيوده .

إن إدخال النصوص الصريحة والمسائل الثابتة والتعاليم المعصومة ضمن دائرة الفكر الإسلامي أو التراث ، إنما يعنى فتح الباب على مصراعيه للعابثين والمتطاولين والمغترين بعقولهم وأفهامهم،

ليمارسوا وصاية على الدين أشد خطورة من الذين يمارسون الوصاية باسم الدين.فالإسلام المعصوم ليس فكراً أو تراثاً أو تصوراً أو فلسفةً أو نتاجاً بشرياً أو ما شابه ذلك مما يحتمل الصواب والخطأ ، بل هو صواب محض وحقيقة مطلقة ، وهذا يقتضي وضع حد فاصل بينه وبين الفكر الناتج عن فهم الناس له ، واجتهاداتهم في ظنياته ، وتفسيراتهم لما أبهم من نصوصه ، وتنزيلاتهم لتشريعاته على حياة الناس، وتطبيقاتهم لها في واقعهم، ولا مجال مطلقاً للخلط بين أصول الإسلام وما أنتجه العقل المسلم من رؤى وأفهام تدور حول فروعه وجزئياته ومتغيراته وتحقيق مقاصده. وعليه ينبغي التفريق التام بين القطعيات والظنيات، وبين الأصول والفروع ، وبين الثوابت والمتغيرات ، وبين الكليات والجزئيات ، وبين القضايا الصريحة والمحتملة ، وبين مسائل الاتفاق والإجماع ، ومسائل التنوع والاختلاف، وبين مواطن النظر والاجتهاد ، ومواطن التسليم والانقياد ؛ وذلك حتى تتضح مبادئ الإسلام المعصوم، ومعالم الفكر المظنون ، ويتم الوقوف عند مجال الاجتهاد المسموح ومجاله المردود .

ثم (إن الفكر الإسلامي الذي نقصده لا بد له أن ينطلق من ضوابط الإسلام، ولكنه بالرغم من ذلك فإنه عبارة عن مواقف اجتهادية لعلماء الإسلام ومفكريه ، فعند تصنيفه والحديث عنه وعن مراحله لا بد أن يدرك كل قارئ لذلك الفكر بذلك الفصل الحاسم بينه وبين أسسه وضوابطه وقواعده ، وهي الوحي الإلهي الممثل في القرآن الكريم والسنة الشريفة) .[٨٥]

وإذا كان الفكر الإسلامي يرتبط ارتباطا وثيقاً بالإسلام وأصوله ومبادئه ومقاصده ويدور حولها ، فإن له ضوابطه وقيوده حتى يعد فكراً إسلامياً ، وإذا ما خرج عن إطاره فلا يعد كذلك على أي حال. ثم (إن الفكر يحتاج إلى أصول مقومة سابقة له حتى يكون صحيحاً ، ومن هذه المقومات: الأصول العقدية ، والضوابط الشرعية والتصنيف الإسلامي لمناهج العلم والبحث) .[٨٦]

وكل ما يدخل ضمن إطار الفكر الإسلامي ، فهو قابل للنقد والتقويم والأخذ والرد ، وهو محط الاجتهاد والتجديد والرأي ، وكل ما انحدر إلينا من تراث الأمة المسلمة عبر التأريخ بمختلف المجالات هو كذلك أيضاً ، ويخرج الإسلام بنصوصه القطعية عن هذه الدائرة المباحة ، حفاظاً على قدسيته وعصمته ،

وقطعاً للطريق أمام المتقولين عليه ، أو الذين يسقطون قدسيته بإدخاله ضمن دائرة الفكر الإسلامي . (وهذا الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام نفسه ،لأنه مرتبط بحركة الزمان والمكان وقانون الاستجابة والتحدي في حركة التأريخ . لذلك فإنه قد يتغير في تفاصيله عبر الزمان والمكان ، لأنه يتجدد أبداً في ضوء المواجهات الجديدة والتحديات القائمة والفهم السديد . ومن الأخطاء الكبيرة أن يوضع الفكر الإسلامي مكان الإسلام المنزل المقدس الذي لا يراجع ولا يناقش ولا ينسخ ، لأن ذلك يؤدي إلى إقحام الفكر البشري في الوحي الإلهي) .[٨٧]

خلاصة البحث

تناول البحث إشكالية التباس المفاهيم وتداخل المصطلحات في الأوساط الإسلامية والخطاب الإسلامي المعاصر ، من خلال استعراض أبرز مظاهر هذه الإشكالية المتمثل بالخلط بين مصطلحي

الإسلام والفكر الإسلامي ، بمظهرين اثنين.

أولهما : عرض الاجتهاد الفكري والفهم البشري والاختيار الفقهي لمجمل القضايا الظنية والمستجدات الطارئة في حياة الناس بأسلوب قطعي يوهم السامع أن هذا هو حكم الإسلام المقطوع به ، لا مجرد كسب بشري وفهم إنساني يحتمل الصواب والخطأ .

وثانيهما : إدخال الإسلام بأصوله وقطعيات نصوصه وثوابت شريعته ضمن مصطلح التراث أو الفكر الإسلامي وإخضاعه للنقد والتقويم والأخذ والرد ، بدعوى ممارسة حق الاجتهاد والتجديد ، وهذا وذاك يتم دون وضع حد فاصل بين الإسلام المعصوم المتمثل بالأصول والكليات والثوابت وقطعيات النصوص والأحكام ، والفكر الإسلامي المتعلق بقضايا الاجتهاد وظنيات النصوص ، وفروع المسائل وجزئياتها والمتغيرات من الأحكام ، أو التراث الذي يشمل مجمل نتاج الأمة عبر التأريخ في مختلف المجالات .

والمظهران يشيران إلى أزمة فكرية أوجدت من يختزلون الإسلام في أفهامهم واختياراتهم ، ومن يُخضع الإسلام لفهمه وهواه.

والبحث يدعو إلى وضع حد فاصل بين ما يعد من الإسلام المعصوم ، وما يعد من الفكر المظنون ، والذي استوعبه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء والأئمة الفقهاء وكبار المفكرين المعاصرين .

الهوامش والمراجع :

١) محمد أحمد خالد : أهمية تحديد معاني المصطلحات في فهم الخطاب الإسلامي "مصطلح الفكر نموذجاً" ، مجلة التجديد : الجامعة الإسلامية العالمية – كوالالمبور – ماليزيا ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، شوال ١٤١٨هـ – فبراير ١٩٩٨م ، ص١٧٤

٢) محمد العبدة وطارق عبد الحكيم : مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، دار الأرقم للنشر والتوزيع : الكويت ، بدون رقم طبعة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٤٨م ، ص١٠٩ .

٣) الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد ، مقاله في مجلة المسلم المعاصر ، التي كانت تصدر عن مؤسسة المسلم المعاصر : بيروت ، العدد الثالث ، رجب ١٣٩٥هـ – يونيو ١٩٨٥م ، ص٤٩ .

٤) محمد بن محمد البشير : تجديد الفكر الإسلامي ، دراسة نقدية للمناهج التجزيئية في الفكر الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قدمت لقسم العقيدة بكلية أصول الدين ، جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان ، عام ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، ص٢ .

٥) المصدر السابق ، ص ٣٠٢ .

٦) محمد أحمد خالد : أهمية تحديد معاني المصطلحات في فهم الخطاب الإسلامي ، مصدر سابق ، ص٢٠٢

٧) د. محسن عبد الحميد ، تجديد الفكر الإسلامي ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي : فرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (١٠) ص٤١ .

٨) التعريفات ، دار الكتب العلمية : بيروت ، بدون رقم ط ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، ص٢٣ .

٩) د: عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دار الفكر : دمشق الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ١٧ .

١٠) أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ومكتبة القدس : صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص١٠ .

١١) المصدر السابق ، ص ١١ .

١٢) قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر ، بغداد ، العراق ، بدون دار نشر ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م ، ص٦٩ ..

١٣) القاموس المحيط ، تحقيق وإصدار مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة : بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، مادة الفكر ، ص٥٨٨ .

١٤) – لسان العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والأنباء والنشر والدار المصرية للتاليف والترجمة : مصر ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه : القاهرة بدون رقم طبعة وتاريخ نشر ، مادة فكر ، ج٦ ، ص ٣٧٣ .

١٥) المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر : بيروت ، بدون رقم طبعة وتاريخ نشر ، ص٣٨٤ .

١٦) التعريفات ، مصدر سابق ، ص ١٦٨ .

١٧) محمد فريد وجدي ، مصدر سابق ، مادة فكر ، ج ٧ ، ص ٣٥٨ .

١٨) جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م، ج٢، ص١٥٤.
١٩) المصدر السابق ، ص ١٥٦.
٢٠) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، بدون سنة نشر ،ج٤،ص٤٢٥.
٢١) الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسن فخر الدين الرازي : المحصل ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م، ص١٢١
٢٢) الأزمة الفكرية المعاصرة : تشخيص ومقترحات علاج ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي : فرجينيا – الولايات المتحدة ، نشر وتوزيع : الدار العالمية للكتاب الإسلامي : الرياض – السعودية ، ط٣ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، سلسلة المحاضرات (١) ، ص٢٧.
٢٣) – معالم المنهج الإسلامي ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة ، بالإشتراك مع اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة ، مطبعة دار الأمان ، الرباط – المغرب ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، سلسلة المنهجية الإسلامية (٣)، ص٨٧.
٢٤) فصول في التفكير الموضوعي ، دار القلم : دمشق ، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ، ص١٤.
٢٥) حقيقة الفكر الإسلامي ، دار المسلم : الرياض ، الطبعة الأولي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٠.
٢٦) تجديد الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص٤١.
٢٧) قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر ، مصدر سابق ، ص٦٩.
٢٨) في حوار هادئ مع محمد الغزالي : وقفات مع كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، دار الوطن : الرياض – السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، ص٥
٢٩) دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي : فرجينيا – الولايات المتحدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، سلسلة أبحاث علمية (٦) ، قضايا الفكر الإسلامي ، ص ٢٩.
٣٠) حقيقة الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ١٤.
٣١) محمد محمد البشير : تجديد الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص١١
٣٢) لسان العرب ، مادة عقد ، فصل العين المهملة ، جزء٣ ، ص٢٩٥.
٣٣) القاموس المحيط ، مادة عقد ، جزء ١، ص٣١٥
٣٤) المعجم الوسيط ، مادة عقد ، جزء ٢ ، ٦١٤.
٣٥) د. محسن عبد الحميد : تجديد الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص٣٥ – ٣٦.
٣٦) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان بالقدر ، جزء ١ ، ص٣٨، حديث رقم (٨) ، والإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل ، جزء ٢ ، ص١٤٧٨
٣٧) ابن منظور : لسان العرب ، مادة ورث ، جزء ٦ ، ص٤٨٠٨ – ٤٨٠٩.
٣٨) تجديد الفكر الإسلامي ، ص ٢٦.
٣٩) نظرات في التراث الإسلامي ، دار الأمل للنشر ، أربد ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٨م، ص٨.
٤٠) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، مكتبة وهبه : القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤، ص ٦٥.
٤١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة ، دار القلم : دمشق ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، ص ١٣٨
٤٢) جوزيف شاخت : تراث الإسلام ، الكتاب رقم (٢٣٣) من سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت، ترجمة : د. محمد زهير السمهوري مع آخرين ، تعليق وتحقيق : د. شاكر مصطفى ، الطبعة الثالثة ، محرم ١٤١٩هـ – مايو ١٩٩٨م ، ص١٧. والعنوان الأصلي للكتاب هو (Thelegacy islam)..
٤٣) د. حسن الترابي : منهجية التشريع الإسلامي ، بحث قدم إلى المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي الذي انعقد في الخرطوم – السودان ، في جماد الأول ١٤٠٧هـ – يناير ١٩٨٧م ، ونشر في كتاب : المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ، تحرير : الطيب زين العابدين ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي : فرجينيا – الولايات المتحدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ص ١٥.
٤٤) حسام الدين الآلوسي : إشكالية العقلانية في الفكر العربي ، في كتاب : قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر ، من إصدارات مركز دراسات الوحدة العربية : بيروت ، الطبعة الأولى ، يناير ١٩٩٥م ، ص ٦٨.
٤٥) إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات (ورقة عمل) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي : فرجينيا – الولايات المتحدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م ، ص ٢٨.
٤٦) – فريد الأنصاري : التوحيد والوساطة في التربية الدعوية ، كتابة الأمة رقم (٤٨) ، جزء ١، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ، الطبعة الأولى ، جمادى الأولى ١٤١٦هـ – سبتمبر – أكتوبر ١٩٩٥م، ص ١٤.
٤٧) المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٣.
٤٨) د. محسن عبد الحميد : تجديد الفكر الإسلامي ، ص٤١٤٢.
٤٩) د.محسن عبد الحميد : قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ، مصدر سابق ، ص ٦٩.
٥٠) كيف ندرس الفكر الإسلامي ؟ ، مجلة المنار الإسلامية ، العدد الرابع ، السنة العشرون ، ربيع الآخرة ١٤١٥هـ – سبتمبر ١٩٩٤م.
٥١) فقه السيرة ، دار الكتب الإسلامية : القاهرة، ط٢ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ص ١٤.
٥٢) التراث والمعاصرة ، كتاب الأمة رقم (١٠) ، صادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ، الطبعة الأولى ، شعبان ، ١٤٠٥هـ ص٢٧.
٥٣) المصدر السابق ، ص ٢٨
٥٤) د. محسن عبد الحميد : تجديد الفكر الإسلامي ، ص ٢٦.

٥٥) التراث والتجديد ، ص ٦٤.
٥٦) محمد محمد البشير ، تجديد الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ١٢.
٥٧) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، مصدر سابق ، ص ٢٤.
٥٨) د. محسن عبد الحميد : تجديد الفكر الإسلامي ، ص٢٦.
٥٩) المصدر السابق ، ص٢٧.
٦٠) حول نقد أطروحات د. محمد شحرور أنظر : فؤاد البعداني : الاستبداد الفكر في الواقع الإسلامي المعاصر : دراسة نقدية لمظاهر الاستبداد بالرأي في قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ، رسالة ماجستير غير منشورة.
٦١) د. محسن عبد الحميد ، تجديد الفكر ، ص٣١.
٦٢) راجع بعض آراء هؤلاء والردود عليها في رسالة فؤاد البعداني : المشار إليها سابقاً .
٦٣) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، مصدر سابق ، ٧٢.
٦٤) أحمد التويجري : فقه الاختلاف والمستقبل الإسلامي ، مقالة في مجلة : المسلم المعاصر ، العدد ٦٠، شوال ١٤١١هـ-مايو ١٩٩١ م ، ص ٤١.
٦٥) سالم البهنساوي : شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الوفاء للطباعة والنشر : المنصورة - مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ - ١١٩٨٩م ، ص ٨٦-٨٧.
٦٦) د. عبد الله شعبان : ضوابط الاختلاف في ميزان السنة ، دار الحديث : القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ١٩٩٧م ، ص ٢٣٩.
٦٧) د. فضل إلهي بن ظهور : حكم الإنكار في مسائل الخلاف ، نشر إدارة ترجمان الإسلام : باكستان ، توزيع مكتبة العارف ومؤسسة الجريسي : الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ١٩٩٦م ، ص ٧١.
٦٨) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني : مجموع الفتاوى الكبرى ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي وابنه محمد ، دار الرحمة للنشر والتوزيع : القاهرة ، بدون رقم طبعة وتاريخ نشر ، جـ٣ ، ص ٢٤٥.
٦٩) سالم البهنساوي : شبهات حول الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ٧٧.
٧٠) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي : من كبار الصحابة ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله الرسول ﷺ على صدقات قومه ، توفي عام ٦٣هـ . انظر ترجمته في (أسد الغابة ، جـ١ ، ص ٢٠٣، وتهذيب التهذيب ، جـ١ ص ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ، جـ٢ ، ص ٤٩٦).
٧١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ، حديث رقم " ١٧٣١" ، جـ٢، ص ١٣٥٦، والترمذي في السير ، باب ما جاء في وصيته ﷺ في القتال برقم " ١٦١٧" ، وابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب وصية الإمام ، برقم " ٢٨٥٨".
٧٢) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب "٧٥٨هـ" : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ضبط وتعليق وتخريج : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي : بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ١٩٩٦م، جـ١ ، ص ٤٧.
٧٣) الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية وتوحيد المذاهب ، بإشراف زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي : دمشق وبيروت ، د. ط ، ص ٢١٨.
٧٤) د. طه جابر العلواني : أدب الاختلاف في الإسلام سلسلة كتاب الأمة رقم ٩ ، صادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، الطبعة الأولى ، جمادى الأولى١٤٠٥هـ ، ص ١١٨.
٧٥) مجموع الفتاوى الكبرى ، جـ٣٥ ، ص ٣٨٥.
٧٦) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ، حديث رقم ٤١١٩ ، جـ٧ ، ص ٤٧١ . وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد ، باب المبادرة بالغزو ، حديث رقم " ١٧٧٠" ، جـ٣ ، ص ٣٩١.
٧٧) شرح صحيح مسلم ، دار الفكر : بيروت ، د.ط ، ١٤٠١هـ ، جـ٢ ، ص ١٣.
٧٨) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، بتحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة : بيروت ، بدون رقم طبعة وتاريخ نشر ، ص ٣٩.
٧٩) سورة الأحزاب ، الآية "٥".
٨٠) الحديث أخرجه الإمام البخاري : **كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة** ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث رقم ٣٧٥٢ ، جـ١٣ ، ص ٣٣٩، والإمام مسلم : **كتاب الأقضية ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ** ، حديث رقم ١٧١٦، جـ٢ ، ص ١٣٤٢.
٨١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي "**٤٦٣ هـ : جامع بيان العلم وفضله** ، تحقيق : عبد الرحمن عثمان ، المكتبة السلفية : المدينة المنورة ؛ ومطبعة العاصمة : **القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م** جـ٢ ، ص ١٩٧.
٨٢) مجموع الفتاوى الكبرى ، جـ١١ ، **ص ٢٠٤**.
٨٣) د. عبد الله شعبان : ضوابط الاختلاف **في ميزان السنة ، ص ٩٦.**
٨٤) ولي الله الدهلوي : الإنصاف في بيان أسباب **الاختلاف ، راجعه وعلق عليه** : عبد الفتاح أبو غدة، دار النفائس : بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م ، ص ٣٨. والقصة ذكرها ابن تيمية **في مجموع الفتاوى الكبرى** ، جـ٣٠ ، ص ٧٩، والإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ، جـ٨ ، ص ٩٨ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ، جـ٢ ، ص ٨٩.
٨٥) د. محسن عبد الحميد : تجديد الفكر الإسلامي ، ص ٤٢.
٨٦) د.عبد الرحمن الزنيدي : حقيقة الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ٤٥.
٨٧) د. محسن عبد الحميد : قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ، مصدر سابق ، ص ٦٩.